

الانتفاضة. قالت لي امرأة فلسطينية: «لم أر ملصقاً فلسطينياً يصور المرأة الفلسطينية الحامل، التي تقوم بواجبات المنزل وتحمل طفلاً على يديها، وتحضر الطعام للرجل، وترتدي الزي العسكري». دلالات هذه المقولة العميقة لم يجمعها أو يشي بها ملصق، وذلك بسبب انشغاله بمجاراة الحالة السياسية، غير مركز على الأدوار النضالية الفلسطينية الأخرى.

ويستطيع القول، هنا، أن المصق أخذ يشكل، في ظل الانتفاضة، موضوعه وفنيته من طريق ملامسة الإنسان الفلسطيني كتخطيط نضالي له مشروعته الحياتي والثوري الخاص به؛ وبدأ يتلمس حجم المعاناة الإنسانية لطفل الانتفاضة، وشباب الانتفاضة، وامرأة الانتفاضة، ورجل الانتفاضة، عبر تكويناته الفنية، بما يمل عليه حالاً أكثر واقعية، وأكثر انسجاماً مع الذات تحاول ملامسة ابداعات الانتفاضة وراثتها اليومي، لا سيما أن الشعار السياسي الموظف في ملصق الانتفاضة أخذ ينحو منحى أكثر توازناً وواقعية، لجهة ترخمة الشعور الشعبي العام، ومراعاة التوجهات السياسية الجديدة، سياسياً ونضالياً، التي اختلتها الأيدي البيضاء للطفل، والشباب، والفتاة، والمرأة، والرجل، في الانتفاضة، التي يخوضها شعبنا الفلسطيني ساعة بعد ساعة، ويوماً بعد يوم. فدلالة الحجر ليست جامدة. انها تنبض بالحركة والحيوية، حيث تثبتت من أخاديد المدينة، والأصابع التي تقبض على الحجر لا تنزرها عضلات «سويرمانية» مفتولة، بل شقوق وتدوب جغرافيا الأرض الفلسطينية، التي تترجم الاصرار والمعاناة، وتحمل في ثنايا معانيها ضوء الفجر المقبل.

سمات المصق الفلسطيني

خلال مسار وتطور حركة فن المصق الفلسطيني، برزت، ونمت، رموز ودلالات تراثية وحضارية اعطت المصق ملامحها، ووسمته بخصائصها التي هي جزء من خصائص الشخصية الوطنية الفلسطينية. وهذه الدلالات والرموز ارتبطت بفلسطين، أرضاً وشعباً وتاريخاً وتراثاً، منذ القدم، وهي: الخارطة الجغرافية للوطن فلسطين؛ وعلم فلسطين الذي يمثل الدولة الفلسطينية واستقلالها وهو رمز للاستقرار الوطني والسياسي؛ والبندقية رمز التحرير والعودة؛ والكوفية وهي جزء من اللباس الشعبي الفلسطيني؛ والتطيرين وهو عمل يدوي وحياكة على القماش والالبسة الفولكلورية، ارتبط تاريخياً وحضارياً بفلسطين، ويزخرف تحاك بالابرة والخيط اشكالاً هندسية خصوصاً على الاثواب النسائية، ولها دلالات عميقة وايحاءات حياتية تعكس طبيعة الذهنية الفلسطينية المبدعة على الصعيد الشعبي العام منذ القدم؛ والفدائي، وهو رمز النضال والثورة والنصر؛ والحمامة وهي رمز عالمي للمحبة والسلام؛ والحصان الذي يرمز الى القوة والتواصل، وهذا معروف في التاريخ الفلسطيني والعربي القديم. باستخدامها هذه الرموز، وتوظيفها فنياً، استطاعت حركة فن المصق الفلسطيني ان تثبت عناصر تاريخية وحضارية عريقة، وتحدث التواصل بين هذه الرموز والدلالات وبين الاجيال المتعاقبة، الى درجة ان بعض الفنانين الفلسطينيين راح يتجه بالبحث في الدلالات والاساطير الفلسطينية القديمة التي تتحدر من اصل الحضارة الكنعانية التي استمرت على ارض فلسطين منذ الالف الثالث قبل الميلاد حتى ١٥٠٠ قبل الميلاد، ليدخل هذه الدلالات والرموز في اعماله الفنية عبر توظيف الرموز والايحاءات التراثية في الابداعي الحياتي الحالي.

الصورة الفوتوغرافية في المصق

قال بافلوف: «هناك منظومتان اشاريتان: الاولى هي المنظومة الاشارية الحسية التي تتعامل مع الصور وتتعكس في الاستقبال وردود الفعل؛ وهذه المنظومة موجودة لدى الحيوانات الراقية والانسان، والثانية، هي المنظومة الاشارية اللغوية؛ وهي التي يتفرد بها الانسان، وأن كانت هذه المنظومة تعتمد على المنظومة الحسية، كاعتماد البناء على الارض». ويمكننا القول ان هناك نوعين من الصور:

١ - الصورة السمعية: وهي التي تنتج عن اصوات موسيقية، أو اصوات من الطبيعة، ونستطيع التعرف عليها من خلال حاسة السمع، وهي صور ذات طابع تجريدي.